الرهانات الإستراتيجية للعلاقات بين المغرب والبرازيل

11 يوليوز 2011

اسمحوا لي بداية أن أتقدم بالشكر الجزيل لمسؤولي المعهد الملكي للدراسات الإستراتيجية على دعوتهم هته، ولزملائي وكذا للأساتذة البارزين على حضورهم هذا اللقاء الحبي الذي يمنحني الفرصة لمشاركتهم أحاسيسي وتصوري لعلاقات بلدنا مع هذه القوة الناشئة ألا وهي جمهورية البرازيل الاتحادية. يتعلق الأمر بما عشته وما توصلت إليه خلال الفترة التي قضيتها في البرازيل من فبراير 2006 إلى يناير 2009.

لطالما اعتقدت أنه من الضروري إيلاء اهتمام أكبر للبلدان الناشئة، وللبرازيل على وجه الخصوص، حيث تم اعتمادي للعمل لثلاث سنوات، قد تكون فترة قصيرة إلا أنها كافية لإدراك أهمية هذه القوة السابعة في العالم، والتي ستصبح رابع قوة عالمية في أفق 2050 حسب بعض وجهات النظر. لقد أصبح هذا البلد فاعلا أساسيا على الصعيد الجهوي والدولي، وقد أدركت القوى الكبرى ذلك.

لدينا الكثير لنتقاسمه مع البرازيل؛ ولدينا الكثير من أوجه التشابه مع هذا البلد: انجذاب مشترك وكم هائل من الود وجاذبية جلية من جميع الجهات ونفس العقلية.

يعتبر البرازيل بلدا دافئا ومضيافا، وعلى نفس القدر من التنوع الجغرافي والثقافي للمغرب.

لدينا نفس الأولويات والاهتمامات والتحديات الواجب رفعها. نحن ندافع عن نفس القيم، لاسيما في مجال التنمية البشرية المستدامة ومحاربة الفقر والتهميش الاجتماعي وتعزيز الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان.

لدى البرازيل احترام وتقدير كبيران لبلدنا، لمعرفته الدور الذي يلعبه المغرب في إفريقيا وفي الدول العربية وكذا في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية باعتباره رئيس لجنة القدس.

لقد ربط المغرب دائما علاقات متميزة مع البرازيل، تعززت منذ زيارة جلالة الملك في نونبر 2004. وإذا كانت العلاقات الرسمية بين المغرب والبرازيل تعود إلى 1962، وهي السنة التي عين فيها البرازيل سفيرا له في الرباط. في 1967، أي بعد خمس سنوات، فتح المغرب سفارة بريو دي جانيرو (عاصمة البرازيل آنذاك). وفي الواقع، ترجع العلاقات بين المغرب والبرازيل إلى القرن الثامن عشر.

ولتوضيح هذه العلاقة القديمة:

- في القرن الثامن عشر، تم تأسيس مدينة في دولة أمابا بالأمازون "مازاغاو" من طرف المرحلين من المدينة المغربية مازاغان والمشتملين على برتغاليين ومغاربة، خاصة اليهود المغاربة، مما يفسر وجود جماعات مغربية يهودية بالبرازيل.
- في سنة 1890، عينت دولة البرازيل قنصلا (غالاس) بطنجة (اتفاقيات موقعة في أرشيف خزانة ريو).

وعلاوة على هذه الروابط التاريخية، تعتبر أسباب هذا التقارب سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.

1- على المستوى السياسي:

في إطار إصلاح مجلس الأمن الدولي، يطالب البرازيل بمقعد دائم في هذا المجلس، ومن المؤكد أن البرازيل سيحصل عليه، وتجدر الإشارة غلى أن المغرب يدعم هذا الترشيح.

يتوفر البرازيل على وزن أثقل فأثقل في إفريقيا وليس فقط في البلدان الناطقة بالبرتغالية، وذلك بفضل الزيارات المتعددة التي قام بها الرئيس لولا لإفريقيا، الشيء الذي عزز كثيرا التعاون بين البرازيل وبلدان هذه المنطقة. ويعتبر البرازيل أحد بلدان أمريكا الجنوبية الذي له سفارات إفريقية معتمدة في بلده.

كما هو الشأن مع البلدان العربية: فتحت البلدان العربية أكثر فأكثر سفارات بما في ذلك سفارة فلسطين.

ينتمي البرازيل إلى القطبين الكبيرين (البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب إفريقيا، والهند والبرازيل وجنوب إفريقيا)، كما أنه صاحب مبادرة تنظيم منتديان كبيران وهما: 1. المنتدى مع البلدان العربية (ASPA) والمنتدى مع الدول الإفريقية (ASA). وقد كانت نتائجهما ملموسة، حيث ارتفعت مبادلات البرازيل مع إفريقيا من 5 مليار دولار في 2002 إلى 26 مليار في 2010، من بينها 20.5 مليار من الصادرات البرازيلية نحو إفريقيا. ومع البلدان العربية، ارتفعت المبادلات من 6 مليار في 2002 إلى 20 مليار في 2010، من بينها 12.57 مليار من الصادرات البرازيلية والتي تمثل ارتفاعا بنسبة 34% مقارنة بسنة 2009، وواردات بقيمة 6.96 مليار تمثل ارتفاعا بنسبة 33% مقارنة بسنة 2009. ويتوقع حدوث ارتفاع بين 12 و15% من المبادلات التجارية بين البرازيل والبلدان العربية في 2011.

يلعب البرازيل دورا هاما في الأمم المتحدة، فهو يناضل من أجل الحل السلمي للنزاعات بإعطاء كافة الحظوظ للدبلوماسية. بالنسبة للبرازيل، يمكن الحوار من التوصل إلى نتائج أفضل من التهديد والعقوبات والمواجهة المسلحة (وضع إيران أو ليبيا).

نتوفر مع البرازيل على تقارب كامل للرؤى بشأن الشرق الوسط وإمكانات القارة الإفريقية وكذا التهديدات المحيطة بها (الإرهاب والمخدرات على الخصوص).

وفي ما يتعلق بالقضية الوطنية، يمكن تصنيف موقف البرازيل بالمحايد أو بالأحرى بالمتوازن على الرغم من المصالح الهامة اقتصادية كانت أو تاريخية التي تربطه بالجزائر. ويترجم هذا الموقف عن طريق دعمه الدائم لقرارات الأمم المتحدة وتشجيعه للأطراف المعنية على إيجاد حل سياسي تفاوضي.

إلا أنه ينبغي توخي الحذر مع الفريق الجديد، وبالتالي من الضروري تكريس جميع أشكال الدبلوماسية المغربية (الحكومية والبرلمانية والاقتصادية والمجتمع المدني) لتأكيد موقفنا وإثمار مشروع استقلالية أقاليمنا الصحراوية.

- ناضلت السفارة في 2008 من أجل خلق مجموعة برلمانية للصداقة بين المغرب والبرازيل رأت النور خلال حفل نظم في غرفة النواب ببرازيليا في 3 يونيو 2008.

- في ما يتعلق بالانتخابات المقبلة بالمغرب، يمكن أن نستوحي من الممارسات الجيدة للبرازيل المتعلقة بإلزامية التصويت وطريقة التصويت الإلكتروني الذي قد يكون نموذجا، لأنه في هذا البلد الممتد على 8.5 مليون كلم^2 يتم الإعلان عن النتائج في المساء.

2. الجزء الاقتصادي

بعدد سكان يقارب 200 مليون نسمة، يشكل البرازيل تقريبا قارة أصبحت الرائدة الصناعية في أمريكا اللاتينية:

- يستعمل ما يزيد عن 45% من الأصول في الصناعة، لاسيما الطيران، والتعدين واستغلال النفط.
- أول منتج عالمي للإيثانول (وقود حيوي مصنع من قصب السكر).
- أول منتج عالمي لفول الصويا والسكر ولحوم الأبقار والدجاج والتبغ وعصير الليمون.
- في سنة 2007، سيرفع اكتشاف حقل هام للبترول البحري والغاز الطبيعي إلى مرتبة أول المصدرين العالميين.

يتوفر هذا البلد على كفاءات متقدمة في المجال الطبي والصناعة الجنيسة واستنساخ الحيوانات. وتجدر الإشارة إلى أن البرازيل قد حقق تقدما مهما في المجال النووي.

وإذا كان نمو الاقتصاد البرازيلي قد عرف سرعة مستدامة في 2007، فذلك يرجع أيضا إلى "سياسة تسريع وتيرة النمو". يتعلق الأمر بمخطط إستراتيجي لأربع سنوات يهدف إلى إنجاز مشاريع كبرى للبنيات التحتية وتزامن القطاع العام والخاص في قطاعات متنوعة كالطرق والطرق السيارة، والطاقة والتطهير، والموانئ والمطارات، والجسور والسكك الحديدية، والبنيات التحتية الحضرية والمساكن الاجتماعية والبيئة والموارد المائية...

لقد عرف البرازيل كيفية تنمية الطلب الداخلي مما مكنه من دعم النمو الاقتصادي وساهم في مكافحة الأزمة العالمية، كما أن تطوير البنيات التحتية اللازمة لتنظيم البرازيل لكأس العالم في كرة القدم سنة 2014 والألعاب الأولمبية في 2016 (النقل، البناء، السياحة...) من شأنه جلب الاستثمارات الأجنبية.

ويطغى على الواردات المغربية القادمة من البرازيل السكر وقصب السكر والحديد والفولاذ وفول الصويا والبن وهياكل السيارات والجرارات.

باستثناء البلدان المصدرة للبترول (العربية السعودية والجزائر)، يمثل المغرب أول بلد عربي مصدر للبرازيل. وإذا كان الميزان التجاري لصالحنا سنة 2008 (وصلت التجارة الثنائية إلى 1.6 مليار دولار برصيد إيجابي للمغرب يقدر بـ 633 مليون دولار)، فإنه أصبح في 2009 عاجزا على حساب المغرب. إلا أننا نلاحظ تقلص العجز منذ سنة 2010، وقد تم تأكيد ذلك بواسطة ارتفاع الصادرات بنسبة 66% من يناير إلى أبريل 2011 مقارنة بنفس الفترة من سنة 2010.

- بلدنا هو أول بلد مزود بالسردين ومعلبات السمك متجاوزا بذلك فنزويلا؛

- توقيع عقد هام سنة 2007 في مجال الفوسفات والحامض الفسفوري ومنتجات أخرى منشقة، بين المكتب الشريف للفوسفات و شركة "بانج" وهي أكبر مصنع للأسمدة في أمريكا الجنوبية، منشئا بذلك مشروعا مشتركا تحت اسم "بانج ماروك فسفور" باستثمار أولي يقدر بـ 360 مليون دولار.

إضافة إلى قطاع الصيد والفوسفات والمكونات الإلكترونية، تهتم البرازيل بقطاعات أخرى وهي:

- اكتشاف واستغلال الصخور الزيتية
- الصناعة التقليدية المغربية والسياحة والهندسة المعمارية
- الزراعة (اتفاقات بين المعهد الوطني للبحث الزراعي والمؤسسة البرازيلية للبحوث الزراعية) وزيت الزيتون...
- قطاع الألبسة
- الثقافة
- الصناعة السينمائية

كما أن تعزيز التعاون في مجال التعمير والإسكان والتكوين المهني والرياضة ومجال الطاقة والبيئة مع المعرفة الواسعة البرازيلية في مجال إعادة التدوير، تشكل قطاعات يجب تنميتها.

يعتبر التعاون الثلاثي وتعاون جنوب/جنوب في مجال الزراعة والماء مجالات واعدة جدا.

يمكن أن تكون البرازيل أرضية للمغرب مع جميع بلدان أمريكا الجنوبية وبشكل أوسع مع بلدان أمريكا اللاتينية والكارايبي. كما يمكن أن يصبح ميناء طنجة المتوسط مركزا للصادرات البرازيلية نحو أوربا وإفريقيا والبلدان العربية.

علاوة على ذلك، يمكن أن تسهل المؤسسات التقارب مع هذا البلد ودعم تقوية التعاون الاقتصادي، يتعلق الأمر خاصة بـ:

- غرفة التجارة العربية والبرازيلية بساو باولو، والتي تناضل من أجل زيادة المبادلات بين البلدان العربية والبرازيل (الاتفاق الموقع بين وكالة الأنباء البرازيلية ووكالة المغرب العربي للأنباء).

- غرفة التجارة المغربية والبرازيلية التي أسست في 2007.

- ست قناصل للمغرب (ساو باولو، ريو، فلوريانوبوليس، كوريتيبا، بيلو هوريزونتي، فيتوريا) مستعدون للمساهمة.

إضافة إلى الاتفاقيات الموجودة (جوية وتجارية وثقافية والتعاون العلمي وتقنية وتكنولوجية والتكوين المهني، إلخ)، وقعت ثماني اتفاقات أخرى خلال أول لجنة مختلطة في 2008. تتعلق الاتفاقات بملحقات تهتم بالشركات في مجال النسيج والألبسة، ودعم تأسيس مدرسة رائدة في مهن البناء المدني ودعم إنشاء سبع مؤسسات لتكوين المعاقين، وتقوية قدرات المكونين في مجال البناء المدني، ودعم التنمية الحضرية بالمغرب، واتفاق الصحة البيطرية واتفاق في مجال البيئة.

أما بالنسبة للنقل، هناك اتفاق جوي بين البلدين (1975)، فالرحلات التي توقفت في 1992 ستستأنف دجنبر القادم.

وفي 2008 كان يجري وضع اللمسات الأخيرة على اتفاق النقل البحري بين المغرب والبرازيل.

3. المجال الاجتماعي

لدى البرازيل نفس مشاغل المغرب: محاربة الفقر، الهشاشة والتهميش الاجتماعي والحد من التفاوتات والعمالة الناقصة ومحاربة الفساد.

خلال الست سنوات الأخيرة، وكما ذكر بذلك سفير البرازيل خلال تدخله في أكتوبر المنصرم، تمكن ما يزيد عن 24 مليون برازيلي من الخروج من الفقر وانضم 27 آخرون إلى الطبقة المتوسطة، حيث تمثل هذه الأخيرة 36% من السكان.

وفي إطار أنشطة المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، قامت مفوضيتان مغربيتان هامتان بعدة زيارات بهدف الاستعلام عن التجربة البرازيلية. فقد استوحت السلطات المغربية من النموذج البرازيلي "التبادل الأسري" (توزيع مساعدة مباشرة على الآباء شريطة إرسال أبنائهم إلى المدرسة وتلقيحهم). مع الإشارة إلى أنه ليس البرنامج البرازيلي الوحيد رغم كونه الأكثر وضوحا. كما هناك تدابير تحفيزية يجب اكتشافها "المكمل الغذائي" في المدارس (دور السردين)، بناء خزانات مائية في المناطق شبه الجافة من أجل ضمان توفر الماء خلال فترات انخفاض التزويد به، المطاعم الشعبية في المدن ذات كثافة سكانية تتجاوز 100.000 ساكن، القروض الفلاحية الصغرى، محاربة عمل الأطفال أو استغلالهم جنسيا...

4. التعاون الثقافي

خلال الدورة السابع عشرة من مهرجان الموسيقى والفنون "أولوديم" سنة 2007 والذي كان افتتاحا لكرنفال سالفادور، شاركت مجموعتان موسيقيتان "كناوة" في هذه الدورة التي نظمت تحت عنوان "المملكة المغربية، بلد جميع الأحاسيس وأرض الوعود". وقد أشاد كرنفال سالفادور الذي أقيم في نفس السنة بالمغرب.

نظم المغرب سنة 2008 تظاهرة كبيرة على امتداد ثلاثة أشهر في أحد أهم المتاحف الفنية بساو باولو والذي مكن من عرض 500 قطعة أثرية وحرفية وأعمال أخرى فنية ترجع إلى حقبة تمتد من ما قبل التاريخ إلى الحقبة المعاصرة. وقد حظيت هذه التظاهرة بنجاح كبير بالنظر إلى العدد الكبير للزوار والتغطية الإعلامية.

لقد قمت بمعية رئيس مجموعة التواصل "باندرنتيس" (مجموعة مهمة لها جمهور واسع في القنوات التلفزية الأربع وكذا في المحطات الإذاعية الأربع) بوضع مشروع شراكة وتعاون بين هذه المجموعة ودوزيم، والذي يجب أن ينصب على البث المشترك للبرامج بهدف المساهمة في معرفة أفضل بين المغرب والبرازيل.

وفي غضون زيارة رسمية لساو باولو، عبر رئيس الدولة عن استعداده للشروع في مشروع تعاون في التكوين التقني ووضع مشروع مع مركز باولا سوزا، المؤسسة العليا للتعليم التكنولوجي.

4. الصعوبات

إلى جانب عائق اللغة الذي غالبا ما يذكر، فالبرتغالية لا تشكل عائقا لعلاقاتنا مع البرتغال، ويفهم البرازيليون الإسبانية والإنجليزية، وكثير منهم يتحدث الفرنسية والعربية، هناك صعوبات أخرى على المستوى التجاري، فمن الجانب البرازيلي نجد ارتفاع كلفة الشحن والحجم الكبير للبرازيل. أما من الجانب المغربي، نجد عدم مشاركة المغرب في المعارض، إضافة إلى الدور غير الفعال للقطاع الخاص في المنطقة.

وختاما، أعتقد أن الحاجة ملحة للمرور إلى السرعة القصوى من أجل تعزيز التعاون مع القارة الفرعية لأمريكا الجنوبية. ولي اليقين التام أن هذا التعاون مثمر لكلا الطرفين وسيكون كذلك مستقبلا.